جهود المقارنين العرب

1.0

الأستاذة راوية رحايلي
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي
جامعة سوق آهراس

مارس 2024

قائمة المحتويات

وحدة	3
مقدمة	4
I- بداية الفكر المقارن	5
II- مرحلة التأليف	7
III- مرحلة التأسيس	8
IV- مرحلة النضج	9
خاتمة	10

وحدة

- معرفة ما قدمه المقارنون العرب لخدمة و إثراء البحث المقارن
  - آليات الدرس المقـارن العربـي ومـا ميـزه عـن غيـره مـن المـدارس الغربية

مقدمة

بدأ الأدب المقارن بمقاربات ومدارس غربية أسست لمبادئه وإجراءاته وآلياته وانتقلت هذه التوجهات إلى البيئة العربية وساهمت بدور كبير في تشكل مفهومه عند العرب،لذا السؤال المطروح هنا هل استطاع المقارنون العرب أن يؤسسوا لمدرسة مقارنة عربية خالصة بعيدا عن الأثر والتصور الغربي؟

1

بداية الفكر المقارن

لينشأ الأدب المقارن لا بعد من وجود مكوناته كالعلاقات اللغوية بين الآداب،لكن العرب قديما كانوا يعيشون نظام الشمولية أو الإقصاء،ووجوده كان في شكل مفاضلات وموازنات كحوكمة أم جندب ومفاضلات النابغة،حتي أنه تم وضع مؤلفات في الموازنات كالوساطة بين المتنبي وخصومه ' للقاضي الجرجاني و"الموازنة بين أبي تمام والبحتري 'للآمدي غير أن هذه المفاضلات والموازنات كانت داخلية لم تخرج عن إطار اللغة الواحدة ،ولم تستند على أساس منهجي فكانت ذوقية ذاتية

وحتى في انفتاحهم على الأمم الأخرى لم يكن بصورة واضحة لأن نظرة الأمم الأخرى إليهم كالفرس والروم كانت نظرة احتقار فعدتهم قطاع طرق،فلم تسمح هذه الصورة في خلق جو للمقارنة الأدبية

ومع مجيء الإسلام انتقلت الأمة العربية من أمة منبوذة إلى أمة يسودها العقل ورغم اختلاطهم مع الفرس والأتراك إلا أن الأنا المتضخمة التي تشكلت عندهم آنذاك لم تسمح بوجود مقارنة منهجية أو تطورها إلى منهج نقدي قائم بذاته،لأنها كانت عبارة عن مفاضلات تفاخرية قامت على أحكام مسبقة بأفضلية المنتوج العربي على غيره في حين أن الأدب المقارن هو رؤية لدراسة الذات من خلال الآخر انطلاقا من مستوى متقارب،كمقارنة البيروني للعروض العربي والهندي

والجاحظ بين البلاغة العربية والهندية،فتحدث في'البيان والتبيين'عن بلاغة الفرس والهند والروم،وأشار إلى بعض الخصائص المشتركة بينها وبين بلاغة العرب،لكن مقارناته بين آداب الأمم الأربعة الكبرى في عصره،لم تكن مبنية على منهج بل اعتمدت على أفكار ذاتية أكثر منها موضوعية.وقارن بين الشعر الفارسي والشعر الإغريقي والشعر العربي فوجدها تختلف من حيث الإيقاع والقافية،واستحسن بلاغة الأمم الكبرى واستهجن البعض الآخر،تحدث في 'البخلاء"عن صورة الفرس

ليغرقوا بعدها في سبات فكري ومعرفي حتى ق 19 ومع ظهور الإرساليات التبشيرية،وحملة نابليون بونابرت على مصر وما نتج عنها من ظروف سياسية وترفيهية،وظهور المطبعة،و استلاء محمد على للحكم في مصر وهدفه لبناء دولة عصرية جديدة وكانت من أبرز ملامحها وخطاها البعثات الطلابية لإيطاليا وألمانيا وفرنسا..،وبسبب الصحافة والتأليف بأشكال مختلفة بدأوا الانفتاح على الأمم والآداب الأخرى،فظهر تيار يدعو إلى التفاعل مع الآخر في مختلف الأجناس الأدبية على يد كل من:أحمد فارس الشدياق،نجيب حداد،قسطاكي الحمصي،سليمان البستاني،عثمان جلال،روحي الخالدي،جبرا ضومط، وتجلي هذا الانفتاح في بعض المواقف الأدبية:

-- رافع رفاعة الطهطاوي: في كتابه'تخليص الأبريز في تلخيص باريس' قارن فيه الظواهر الأدبية والثقافية والاجتماعية بين الفرنسيين والعرب.

-- أحمد فارس الشدياق:من خلال كتابه'الساق على الساق فيما هو الفارياق' قارن بين الشعر الأوروبي والشعر العربي وقال بتفرد اللغة العربية ،كما قارن بين العادات والتقاليد بين الأوروبيين والشرق،

- تناول سعيد الخوري الشرتوني في مقالته 'البيان العربي والبيان الإفرنجي'في مجلة 'المقتطف' 1902التشابه والاختلاف بين البيان العربي والبيان الغربي دون التطرق إلى التأثير أو التأثر،كان يهدف لإظهار محاسن وعيوب البيانين.

-- سليم البستاني: 1904 ترجم إلياذة هوميروس تناول أوجه التشابه والاختلاف بين الأدب العربي والأدب اليوناني،وقارن بين الملحمة اليونانية والشعر العربي القصصي،فرق بين السرقة والتأثر فالتأثر يدل على كثرة المطالعة والإفادة من الآخر.

- نجيب حداد مقاله الشهير"مقابلة بين الشعر عند العرب والإفرنج"رأى من خلالها مفهوما جديدا للشعر"هو الفن الذي ينقل الفكر من عالم الحس إلى عالم الخيال،والكلام الذي يصور أرق شعائر القلوب على أبدع مثال.."([1][1])

- توصل إلى أن الشعر الأوربي تعبيري وهم يفضلون في وصف الحالات،أما العرب فيفضلون في وصف الأشياء لطبيعة البيئة المتغيرة المحاطة بالشعرين .

من أوجه الاختلاف بين الشعرين أن الغربي لا يُفْتقَدُ بالترجمة إلى أي لغة من اللغات الأوربية،في حين يُفتقَد الشعر العربي بالترجمة،لأنها كلها ترجع لأصل واحد وهو اللغة اللاتينية التي هي أم لغاتهم جميعا،في حين اللغة العربية متميزة ومختلفة من بيئة لأخرى...

- وهو التصور الذي نجده في كتاب روحي الخالدي "تاريخ علم الأدب عند الافرنج والعرب وفيكتورهيجو' سنة 1904، يعتبر من أكثر الأعمال التي برز فيها المنهج المقارن بصورة واضحة من خلال اهتمام روحي الخالدي بالكشف عن العلاقات المتبادلة بين الأدبين العربي والغربي من أبرز القضايا التي تطرق لها:

- كان ناقدا حداثيا أقر بتميز هيجو على الشعراء العرب القدامى من خلال تنوعه وعمقه واستثنى من ذلك المتنبي والمعري

- كما جاءت 'الكوميدية أو المضحكة الإلهية' أشبه 'برسالة الغفران' التي وضعها المعري قبل تأليف الكوميدية بأكثر من قرنين

- واستحسن الشعراء في إسبانيا وألمانيا وإيطاليا وفرنسا دروب الشعر العربي، فنسجوا على منوالها.

- وقبل اختلاط الفرنسيين بعرب الأندلس لم يكن لأشعارهم روي وقوافي فأخذوها منهم

- وأصلح الأندلسيون ما رآه الخالدي خللاً في أدب العرب،واستحدثوا فنوناً في الشعر والنثر، ولو طال أمد حضارتهم لحققوا قفزات أكبر

- قسطاكي الحمصي في كتابه'منهل الوارد في علم الانتقاد' سنة 1906 كان نقديا أكثر منه مقارنا وعقد فيه بابا من الموازنات

- خليل مطران: ترجم مسرحية عطيل لشكسبير وأثار مسألة اقتراب شكسبير من الذوق العربي " إن لنفسية شكسبير شيئا عربيا بلا منازع وهو أبين فيها مما في نفس فيكتورهيجو."

وهنا بدأ الانفتاح على الآخر وعلى الفرنسيين والآداب الفرنسية خاصة ،لكنه انبهار بالدرجة الأولى وانفتاح دون خلفيات تاريخية فلسفية فلم يكن على أساس فكري حضاري لذلك أخذت المقارنة عند العرب في بدايتها ظهور دراسات مقارنة اقتداء بالآخر وليس حاجة إلى دراسة الأدب العربي وتفاعله مع الآخر،ومن درس في فرنسا تبني النظرة الفرنسية ومن درسوا في أمريكا تبنوا النظرة الأمريكية وآخرون تبنوا النظرة الاشتراكية... فبدأ الأدب العربي ينسلخ عن طبيعته الغنائية والتخلص من الأنماط القديمة وتبني أنماط جديدة

كما بدأت بعض المقالات المقارنة بين الأدب العربي والانجليزي،ولم تتطور تلك الدراسات المقارنة لرؤية منهجية لفقدانهم للمنطلق القومي فالعرب كان ضمن عدة توجهات سياسية فلم يكن الأدب العربي أدب واحد ولا أمة واحدة فلا يجمعهم نظام سياسي واحد ولا رقعة جغرافية وماجمعهم 'اللغة'فقط وحتي هي واقعها يختلف من دولة لأخرى فلم تتبلور القومية العربية ما عند الغرب

-فلم يجد المقارنون الأوائل القاعدة الأساسية الفكرية التي تمكنه من معرفة نفسه من خلال الآخر ولمعرفة الآخر

أما مصطلح « الأدب المقارن » فقد ظهر لأول مرة 1936م عند خليل هنداوي وكذلك فخري أبو السعود، في مقالات لهما في مجلة « الرسالة »، وهي ترجمة حرفية عن المصطلح الفرنسي

II

امتدت من منتصف الثلاثينات حنى مطلع الخمسينات أصدر:

عبد الرازق حميدة كتابه" في الأدب المقارن" 1948 قارن فيه بين رسالة الغفران للمعري و الكوميديا الإلهية لدانتي من الناحية الجمالية دون التطرق إلى الأثر والتأثير بينهما، فكانت الدراسة عبارة عن موازنة

ثم ظهر كتاب نجيب العقيقي" من الأدب المقارن" عبارة عن دراسات في الأدب والنقد

ثم إبراهيم سلامة" تيارات أدبية بين الشرق والغرب خطة ودراسة في الأدب المقارن" 1951

فكانت هذه المؤلفات تصريح واضح واستخدام جلي للمصطلح الفرنسي،لكنها لم تخرج عن اطار الموازنة والنهج النقدي لذا لم تكن مؤلفات مؤسسة له.

III

تبدأ هذه المرحلة بعودة غنيمي هلال من باريس 1952 ، وتوليه تدريس الأدب المقارن في دار العلـوم 1953 كما أصدر كتابه 'الأدب المقارن'مؤكدا على التخصص الجامعي وقد ساعده في ذلك إتقانه اللغـة الفرنسية والانجليزية ونال شهادة الدكتوراه من جامعة السوربون بعنوان أطروحة 'هيباتيا فـي الأدبيـن الفرنسي والإنجليزي من القرن الثامن عشر إلى القرن العشرين'([2]2)

فكان المؤسس الفعلي للأدب المقارن،ثم سـرعان مـا تطـور الاهتمـام بـالأدب المقـارن فـي الجامعـة العربية وكرس أسسه الكثيرين من بينهم:

أنور لوقا طلب من طه حسين عميد الكلية وقتها يسـجل رسـالة الماجسـتير فـى موضـوع عـن رحلـة الطهطاوي لباريس فوافق العميد على الاختيار و زاد عليها انه طلب منه يعقد دراسه مقارنه بين رحله الطهطاوى لبـاريس و رحلــه'جيرار دونرفــال'لمصر خلال نفـس الفــترة،سافر فرنسـا و التحـق بجـامعه السوربون و هناك تتلمذ على يد 'جان مارى كاري'([3]3)

'عطية عامر له كتاب' دراسات في الأدب المقارن

وفي الستينيات بدأت فترة الدراسات الأكاديمية في هذا الحقل المعرفي في العالم العربـي، وظهـرت مجلات متخصصة،كما صدرت عدة كتب ألفها أصحابها على أسس منهجية، من بينها : كتاب 'دراسـات في الأدب المقارن 'لعبد المنعم خفاجي، و 'الأدب المقارن' لحسن جاد،و 'الأدب المقارن' لطه ندا

IV

شهدت سنوات الثمانينات وما بعدها تطورا ملحوظا في الدراسات المقارنة امتازت بالتنوع والنضج والتعد د اللغوي من ذلك:

- سعيد علوش: مدارس الأدب المقارن 1987 تناول فيه مجموعة من القضايا وتتبع تاريخ الأدب المقارن بدأ من سيمائية المقارنة ومرورا بالمدرسة الفرنسية وأزمة الأدب المقارن والمدرسة الأمريكية فالسلافية وتتبع أيضا الدرس المقارن من الأربعينيات من ق 20 مع نجيب العقيقي إلى طه ندا ووصوله لتدريسه في الجامعات العربية
- حسام الخطيب: آفاق الأدب المقارن عربيا وعالميا 1992
- عز الدين المناصرة: النقد الثقافي المقارن.
- داود سلوم: الأدب المقارن

خاتمة

هذه الدراسات سارت في البداية على النهج الفرنسي،ثم ما لبثت أن بدأ المنهج الأمريكي يشق طريقة إلى جانب المنهج الفرنسي فأصبح لنا ثلاث توجهات فرنسي وأمريكي واشتراكي،وظهر توجه آخر"توجه إسلامي"